الشيخوخة وموقف الفكرالتربوي العربي الاسلامي منها " جسميا وعقليا واجتماعيا ونفسيا "

م.د.ندوى محمد محمد شريف
كلية الاداب – خانقين / جامعة كويه

ملخص البحث :

يسعى الدين الاسلامي عبر توجهاته ونظمه الاجتماعية والاخلاقية الى ان يشيع اجواء الرحمة والاحترام والعطف في العلاقات بين ابناء المجتمع الاسلامي وذلك لان هذه الأجواء هي التي تتمكن من امتصاص كل السلبيات وتجاوز كل العقبات التي تحول دون المزيد من التلاحم والتكافل بين ابناء المجتمع الواحد ، والذي ينظر الى القيم الاجتماعية الاسلامية التي يحظى بها المسن في الشريعة الاسلامية يجدها تمثل الوسيلة الوحيدة التي تخفف امراض و اعراض الشيخوخة اذ تجعله يشعر بانه ذو شأن كبير ومنزلة رفيعة في المجتمع فهو المقدم في الكثير من الامور وهو المبجل والمحترم .

وقد حاولت الباحثة من خلال هذا البحث التعرف على موقف الفكر العربي الاسلامي من كبار السن من النواحي الجسمية والعقلية والاجتماعية والنفسية متبعة المنهج التاريخي التحليلي الوصفي ، وتناول البحث الحالي التغيرات التي تطرأ على المسن من النواحي كافة مستشهدة بآيات قرآنية موضحا الاساليب التي يراعي فيها التشريع الاسلامي هذه التغيرات محاولا التخفيف والتيسير على المسنين في امور كثيرة وفي ذلك استشهدت الباحثة ايضا بآيات من القرآن الكريم وباحاديث نبوية شريفة مع اقوال بعض المفكرين العرب المسلمين .

ومن خلال هذا البحث استنتجت الباحثة ان رعاية المسنين في الاسلام تقوم على عدة مرتكزات ابرزها : الانسان مخلوق مكرم ومكانته محترمة في كل مراحله العمرية اذ ان توقير الكبير من سمات المجتمع المسلم ،وان الدين الاسلامي قد خفف ويسر كثيرا من الامور على المؤمنين من كبار السن في عدد من الاحكام والتشريعات ، ومن ثم اوصت الباحثة بالتأكيد على الحث على رعاية المسنين والتأكيد على أمنهم الاقتصادي والمالي وحفظ سلامتهم والحث على تعليمهم المستمر لمواجهة مشكلات الحياة ودخولهم ميادين العمل مما يخلق لديهم الاحساس الدائم بحاجة المجتمع اليهم ويقيهم الكثير من اعراض الوحدة والعزلة والملل واليأس .

" الفصل الأول "

الاطار العام للبحث

أهمية البحث والحاجة اليه :

الدين ظاهرة اجتماعية تحقق وظيفة مهمة بالنسبة للمجتمع ، اذ يجيب عن اسئلة تصوغها العقول ، وفي كل حالة فان الدين يكون استجابة نفسية وعقلية لمطالب

الحياة البشرية ، كما تصدى له المفكرون والفلاسفة والتربويون . (سلطان ، ١٩٧٧ص١٠)

وكل قضية من القضايا تثار نجد في الدين وجهة نظر فيها ، وميزة الدين الاسلامي انه دين الحاضر والمستقبل ، فاطار هذا الدين ونظرياته الكلية الشاملة أعدت لتستوعب المجتمعات ومراحل تطورها ، والانسان في أي مستوى عمري لايعيش في فراغ ، فالوجود عملية اعتماد الناس بعضهم على بعض اجتماعيا واقتصاديا و(المسنون) فئة مهمة ازداد حجمها واتسع نطاق تمثيلها في الهرم السكاني بتقدير الله سبحانه وتعالى اولا ، ومع تقدم وسائل المعيشة الحديثة وتقدم علوم الطب وتحسن مستوى الخدمات الصحية واتخاذ الاجراءات الوقائية والعلاجية في جميع انحاء العالم ، مما أظهر تطورا ايجابيا على صحة السكان عموما ، وقلة الولادات وقد بات زيادة اعداد كبار السن بالنسبة للسكان امرا مؤكدا ، فمن المتوقع ان تتضاعف نسبة اولئك الذين يبلغون من العمر ستين عاما فما فوق بين سكان العالم لتصل الى ٢٢ % في عام (٢٠٥٠) بعد ان كانت تناهز ١١ % في عام (٢٠٠٦) وان العدد الاجمالي للمسنين في البلدان النامية يتجاوز حاليا عدد المسنين في البلدان المتقدمة بنسبة الضعف تقريبا وبحلول عام (٢٠٥٠) سيكون نحو ٨٠ % من مجموع المسنين على الصعيد العالمي من سكان البلدان الاقل نموا . (دليل المدن الصديقة للمسنين) لذا كان من اهم الاسباب والدوافع التي ادت الى تزايد الاهتمام بمرحلة الشيخوخة والتقدم في العمر على المستوى العالمي تزايد نسبة كبار السن في المجتمعات بشكل واضح مما يشير الى اننا أمام فئة عمرية ليست بالقليلة وتستحق الاهتمام و الرعاية من قبل المجتمع والدارسين .

وتعد الشيخوخة احدى مراحل الحياة الانسانية نكاد نمر بها جميعا ، فالجميع يتقدم في العمر ، الا ان تأثير هذه المرحلة يتباين حسب الافراد والمجتمعات والقيم والثقافات السائدة ، ويمثل الاهتمام بالمسنين جانبا اساسا من جوانب الاعتناء بالثروة البشرية التي اصبحت اغلى الثروات جميعا في عصرنا الحاضر ، تلك الثروة التي تفوق قيمة الثروات الاخرى .(بيسكوف ، ١٩٨٤ ص١٩)

وان مرحلة الشيخوخة من المراحل الحساسة في عمر الفرد ، فهي لاتعني تغيرات بايولوجية وفسيولوجية فحسب ، ولكنها ظاهرة نفسية واجتماعية تتمثل في موقف المجتمع من المسن ومايفرضه عليه من قيود وقواعد سلوكية يلتزم بها كما تتمثل ايضا في موقف المسن من نفسه ومن الاخرين .

وفي هذا العصر الذي نحرص فيه على تجميع كل طاقاتنا البشرية في سبيل البناء تقف مسألة رعاية المسنين ضمن الموضوعات الاساسية التي يجب ان تحظى باهتمام المشتغلين في مجال التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع والطب وغير ذلك من التخصصات ، ففي خبرة المسنين عندنا معاني التراحم والتعاطف وابتغاء الأجر في خدمتهم ، والتقرب الى الله في البر بهم خلافا لأوضاع المسنين في المجتمعات الاخرى التي تدعي الحضارة والتقدم .

وفي البلدان ذات الحضارات العريقة المعززة بمضمون روحي ديني ، وجد المسنون الأمان من خلال الاوقاف والصدقات والزكاة والجوامع فضلا عن حقيقة ان

العلاقات القوية والعميقة للاسرة الممتدة كانت توفر الطمأنينة لهذه الفئة. (حافظ ،٢٠٠٢ ص٣٥٦)

وقد أصبحنا اليوم في أمس الحاجة الى التعامل مع ظاهرة الشيخوخة على انها جزء لايتجزأ من النسق الاجتماعي الاكبر ، وانها حلقة من حلقات التاريخ وجزء لايتجزأ من وجود كل مجتمع ، اذ ان خشية الموت تأخذ الان طابعا خاصا بالنسبة للمجتمعات التي تقلص فيها الشعور الديني ، والتي تظهر اهتماما محدودا بالأجيال التالية لأن احوال المسنين تدهورت في العصر الحديث ، فالمجتمع الصناعي يعرّف المسنين بانهم عديمي الفائدة ، ويجبرهم على التقاعد قبل استنفاذ طاقاتهم في مجال العمل ، ويقلل من اهمية الخبرة ويعظم من اهمية القوة الجسدية وتوليد افكار جديدة مما يفرض العزلة الاجتماعية على المسنين . (شعبان وسمير صلاح الدين ، ١٩٨٤ص١٢٢)

لذا فقد تزايد في الآونة الاخيرة الاهتمام بهذه الفئة ، فقد اكدت المادة (٢٥) الفقرة (أ) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي تبنته الجمعية العامة للامم المتحدة في ١٠ ديسمبر عام ١٩٤٨ على ان :

" لكل انسان الحق في مستوى معيشي ملائم لصحته ورفاهيته وكذلك لصحة ورفاهية اسرته ، بما في ذلك المأكل والملبس والمسكن ، والرعاية الطبية والخدمات الضرورية ، والحق في الامان عندما يتقدم به السن "

(الاعلان العالمي لحقوق الانسان)

واعلنت الجمعية العامة ١تشرين الاول اليوم الدولي لكبار السن بموجب القرار ٤٥/١٠٦ المؤرخ في كانون الاول ١٩٩٠ وذلك في اطار متابعة لتنفيذ مبادرات الامم المتحدة من قبيل خطة عمل (فيينا) الدولية للشيخوخة التي اعتمدتها الجمعية العالمية للشيخوخة عام ١٩٨٢ واقرارها في وقت لاحق من تلك السنة ، وبأن (١٩٨٢) هو العام الدولي للمسنين لتركيز الجهد من اجل بحث قضايا المسنين ومعالجة مشاكلهم وزيادة الاهتمام برعايتهم الاجتماعية والصحية والنفسية والمعيشية ، مما نبه المسؤولين عن التخطيط لاعطاء المزيد من الاهتمام بهم . (اليوم الدولي للمسنين)

وقد أوصى المؤتمر الدولي الرابع لتعليم الكبار في باريس عام (١٩٨٥) بالعمل على زيادة الدراسات والبحوث حول القضايا المتعلقة بتعليم الكبار من أجل تهيئة اسس مستندة الى المعلومات الصحيحة لتخطيط وتنفيذ انشطة تعليم الكبار. (العاني واخرون ، ١٩٩٤ ص٣٩)

وفي العراق تقوم الرعاية الاجتماعية لكبار السن على مبادئ التكافل الاجتماعي المستوحاة من احكام الشريعة ومن الواقع الاجتماعي والميراث الحضاري للامة العربية ، فقد جاء في قانون الرعاية الاجتماعية (١٢٦) لسنة (١٩٨٠) عدة مواد تكفل الاهتمام بالمسنين منها المادة (٣) : " العمل حق تكفل الدولة توفيره لكل مواطن ، وهو واجب على كل قادر عليه ... وتهدف الدولة الى تأمين الضمانات

الاجتماعية للمواطنين كافة في حالتي العجز والشيخوخة " . (وزارة العدل ، ١٩٨٠ ص٤)

وان كان هذا الاهتمام بين الدول المعاصرة لم يبرز الا في السنوات الاخيرة ، فان الاسلام قد نظم هذا الامر واكد عليه قبل اكثر من اربعة عشر قرنا ولكن للأسف اننا نعيش تخلفا حضاريا وغزوا ثقافيا تغلب عليه سيطرة القيم المادية وانتشار الانانية وحب الذات مما قد يؤدي الى سقوط النظام القيمي والاخلاقي الموروث والذي يمثل جوهر ثقافة المجتمعات الاسلامية . (الراوي ، ١٩٩٩ص٩٣)

وقد سبقت تعاليم الدين الاسلامي الأنظمة الحديثة لرعاية الشيخوخة ، اذ يحظى الكبار في مجتمعنا الاسلامي غالبا بمزيد من التقدير والرعاية والاحترام ، وتشير الدراسات الى ان كبار السن في عدد من دول العالم يتعرضون لسوء المعاملة والعنف من قبل أسرهم سواء جسديا او نفسيا من خلال الشتم أو الاهانة أو الضرب وقضايا الاعتداء أو حتى ماديا من خلال حجر بعض الابناء على آبائهم ، وهكذا نجد لزاما علينا ان نقوم بواجبنا تجاه كبار السن بالعناية بهم وتأمين ما يليق بهم من خدمات ورعاية كأشخاص يستحقون الحياة الكريمة ، وهذا من اعظم الواجبات الانسانية فهذه الفئة التي بلغت عمرا معينا افقدها القدرة والفعالية والنشاط لاتشكل قوة ضاغطة على المجتمع ، ومن هنا نجد شريعتنا الاسلامية حثت على احترام وتقدير كبار السن في قوله تعالى :

((وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوۤاْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً)) . (١)

ويشهد العالم تحركا واهتماما زائدين في بحث قضية الشيخوخة وماتعانيه هذه الفئة من امراض صحية وبيئية واخرى متعلقة بالفقر خاصة في البلدان النامية ، التي تعاني من نقص كبير في تقديم الخدمات والرعاية للمسنين .

لذا تقف مسألة رعاية المسنين الذين يزداد عددهم باستمرار وحماية حقوقهم احدى التحديات الكبيرة في مختلف الدول النامية منها والمتقدمة وهي ضمن الموضوعات التي يجب ان تسترعي اهتمام المسؤولين ، كما يجب ان يشارك في بحثها ، المشتغلون في ميادين العلوم الانسانية المختلفة فلم تعد النظرة الى كبار السن في المجتمعات الحديثة نظرة اهمال او شفقة بل اصبحت نظرة اهتمام ورعاية مستمرة ، كونه بعدا انسانيا وان الواجب الديني والاخلاقي والقيمي يلزم علينا ان نوليهم الرعاية .

ومادام هذا الاهتمام المتزايد بالمسنين ، يتساءل المرء عن مكانة المسن في الشريعة الاسلامية ؟ وذلك ماستحاول الباحثة الاجابة عنه من خلال هذه الدراسة ، وكما وردت من نصوص في القرآن الكريم واحاديث النبي محمد ﷺ واقوال عدد من المفكرين العرب في هذا الباب .

وان مادفع الباحثة الى اجراء هذا البحث هو اهمية الموضوع من الناحية العلمية والعملية ، فضلا عن حاجة المجتمع لهذا النمط من الدراسات ، اذا ماعلمنا ان ماكتب عن هذا الموضوع يعد قليلا ، اذ ان حيز الاهتمام بالمسنين لايزال بحاجة الى المزيد

من الجهود العلمية ، وان هذه الفئة العمرية لم تحظ باهمية من البحث كما حظيت بها فئات العمر الاخرى ولاسيما على مستوى العراق ، ولاننا بحاجة الى ابراز دور الفكرالعربي الاسلامي لان هذا الفكر لم يجد حتى الان من يحلله التحليل الذي يتكافأ مع عمقه واصالته واتساعه وشموله وتكامله كما ان الفكر التربوي العربي الاسلامي اصبح اكثر اهمية من اي وقت مضى حيث تسعى الامة العربية الاسلامية الى التحرر من الاستعمار الثقافي ومن التبعية للتيارات الفكرية المختلفة ، فضلا عن ذلك فان الواجب الديني والانساني الذي حثت عليه جميع الاديان يدعو الى الالتفات لفئة المسنين الذين امضوا سنوات شبابهم في العطاء .

هدف البحث :

يهدف البحث الحالي تعرّف موقف الفكرالتربوي العربي الاسلامي من الشيخوخة جسميا وعقليا واجتماعيا ونفسيا .

منهجية البحث :

اتبعت الباحثة المنهج التاريخي التحليلي الوصفي من خلال نصوص القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة واقوال بعض علماء الدين والفلاسفة .

" الفصل الثاني "

الشيخوخة Senescence

يطلق على هذه المرحلة احيانا مرحلة المعمرين Aging او مرحلة التقدم في العمر Elderly.

١- المعنى اللغوي للشيخوخة :

الشيخ من ادرك الشيخوخة ، وهي غالبا عند الخمسين ، وهو فوق الكهل ودون الهرم ، وهو ذو المكانة من علم او فضل او رياسة .(مجمع اللغة العربية ،١٩٩٠ ص٤٦٨)

وقد حدد(ابن منظور) الشيخوخة بقوله : " الشيخ : الذي استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب ، وقيل : هو من الخمسين الى الثمانين ". (ابن منظور ، ٢٠٠٣ ص٢٤٥)

٢- المعنى الاصطلاحي للشيخوخة :

المسن يعرّف بانه : من دخل طور الكبر او الشيخوخة مع التسليم بما هو متعارف عليه بان هذا الشعور يبدأ من سن الستين ، واتفق خبراء الامم المتحدة على ان من وصل الى سن (٦٠) عاما فأكثر يعد شخصا مسنا . (آغا ،١٩٨٤ ص١٥٧)

كما تعرف الشيخوخة بانها حالة نفسية وعقلية لدى الافراد ليس لها بداية محددة في عمر محدد وانما هي نسبية والاحساس بها نسبي . (منسي وآخرون ، ٢٠٠٠ ص٢٧٣)

والمسنون هم فئة من الناس يدخلون مرحلة من النمو والنضج يطلق عليها البعض (العمر الثالث) وهي مرحلة طبيعية في حياة الانسان . (خليفة ، ١٩٨٤ص١٠٩)

الشيخوخة من الناحية البيولوجية : عبارة عن نمط شائع من الاضمحلال الجسمي في البناء والوظيفة يحدث بتقدم السن لدى كل كائن حي بعد اكتمال النضج وهذه التغيرات الاضمحلالية المسايرة لتقدم السن تعتري كل الاجهزة الفسيولوجية

والعضوية والحركية والدورية والهضمية والبولية والتناسلية والغدية والعصبية والفكرية .(قناوي ،١٩٨٧ص١٧)

الشيخوخة من الناحية السايكولوجية : حالة من الاضمحلال تعتري امكانات التوافق النفسي والاجتماعي للفرد فتقل قدرته على استغلال امكاناته الجسمية والعقلية والنفسية في مواجهة ضغط الحياة لدرجة لا يمكن معها الوفاء الكامل بالمطالب البيئية او تحقيق قدر مناسب من الاشباع لحاجاته المختلفة . (قناوي ،١٩٨٧ص٥١)

اما تعريف منظمة الصحة العالمية (١٩٧٢) فانه يعد سن الخامسة والستين على انها بداية كبر السن لان هذه السن تتفق مع سن التقاعد في معظم الدول . (الزبيدي ، ٢٠٠٥ ص١١)

<u>وصف مرحلة الشيخوخة في التشريع الاسلامي</u>

لقد صور الله سبحانه وتعالى مراحل نمو الانسان الذي خلقه في احسن تقويم قبل الولادة وحتى الممات ، وجاء ذكر الشيخوخة بوصفه آخر ايام العمر في قوله تعالى : **((يٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً))** .(٢)

كما عدها الرسول (ﷺ) بأنها آخر مرحلة قبل الموت بقوله : ((بادروا بالاعمال سبعا ، هل تنتظرون الا فقرا منسيا ، او غنى مطغيا ، او مرضا مفسدا ، او هرما مفندا او موتا مجهزا)) . (ابن العربي ، ب.ت ص١٨٥)

وعن المراحل العمرية للانسان تحدث الفيلسوف (ابن باجه) بقوله : " فقد يوجد جنينا ، وذلك عند كونه في الرحم ، ثم يوجد طفلا ، وذلك اثر وضعه ثم يوجد يفعة ويوجد شابا ، ثم يوجد كهلا ، ثم يوجد شيخا " . (ابن باجة ،١٩٦٨ ص٧٣)

وتعمل الاديان عموما على تعزيز التضامن الاسري ويعد احترام كبار السن من تعاليم جميع الاديان السماوية ، وخاصة كبار السن من الوالدين ، وان الامر ببر الوالدين ليس مختصا بالامة الاسلامية ، بل هو مما كتب على السابقين لأهميته ووجوبه اذ قال تعالى : ((**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيۤ إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً**)) .(٣)

وللدين و شعائر الاسلام تاثيرقوي وأثرعميق في حياة المسلم ، فالاسلام ليس عقيدة فحسب ، ولكنه نظام اجتماعي ككل يؤدي دورا مهما في تشكيل سلوك المسلم ، وقد قرن الله وجوب الاحسان الى الوالدين وبرهم بوجوب توحيد الله والنهي عن الشرك به في آيات كثيرة منها قوله تعالى :

((**وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً**)). (٤) للدلالة على ان ذلك بمكان من الأهمية اذ يأتي بالدرجة الثانية بعد عقيدة التوحيد وما أعظمها من درجة ، كما وقد اتى بر الوالدين في المرتية الثانية بعد الصلاة في محبة الله ، لما رواه (ابن مسعود) رضي الله عنه حين قال : (سألت رسول الله (ﷺ) أي العمل أحب الى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها ، قال : ثم أي ؟ قال : ثم بر الوالدين ، قال : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله) . (البخاري ، ١٤٠١هـ ج١ ص١٩٧)

وأوجب الله سبحانه وتعالى على الولد بذل اقصى الرعاية لهما والرحمة بهما في ضعفهما واحتياجهما بقوله تعالى : ((**وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفاً**)) .(٥)

ويشتمل بر الوالدين الأدب معهما باستعمال كل ما حسن من الاقوال والافعال ونهى الله سبحانه وتعالى عن اي شكل من اشكال الاهانة بالنسبة الى الوالدين وعن كل ما من شأنه ان يؤذيهما ويجرح مشاعرهما ويسبب ألمهما سواء كان كلمة او تصرفا فيه يعبر عن التأفف والتضجر بقوله تعالى :

((**فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً**)) . (٦)

كما امر الولد بابداء التواضع والرحمة والقول الكريم تجاه والديه وخفض جناح الذل وامره بالاستغفار لهما في النص القرآني الذي يذكر مرحلة الكبر ويشدد على الانسان التسليم لأوامرهما بقوله تعالى :

((**وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيراً**)) . (٧)

وانه عز وجل لفت نظر الولد الى التضحية والجهاد الذي عاناه الوالدان في تربيته اثناء صغره ، لذلك امر الله تعالى الولد بأداء الشكر لوالديه بقوله :

((**وَوَصَّيْنَا ٱلإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ**))(٨)

كما أكد الاسلام المعاملة الحسنة وبرالوالدين وضرورة رعايتهم وخاصة عندما يكبرون اذ حث على الاحسان

اليهما في كل مراحل العمر ورعايتهم تجسيدا لقوله تعالى :

((**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوۤاْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً**)) . (٩)

وقوله تعالى : ((**وَوَصَّيْنَا ٱلإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**)) . (١٠)

كما أمر النبي محمد (ﷺ) برعاية صديق الوالدين ولو بعد موتهما وعد ذلك من بر الوالدين بقوله : ((أبر البر ان يصل الرجل ود ابيه)) . (مسلم ، ٢٠٠٥ ص١٠٧٦)

ولقد بين الرسول محمد (ﷺ) ان بر الوالدين سبب لاطالة العمر وزيادة الرزق ، فقد قال (ﷺ) : ((من أحب ان يمد له في عمره وان يزاد له في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه)) . (احمد ، ٤١٣١ هـ ص٢٩١)

وقد عد الرسول (ﷺ) عقوق الوالدين من اكبر الكبائر بقوله : ((ألا انبئكم بأكبر الكبائر ؟ ثلاث ، قالوا : بلى يارسول الله قال : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئا : ألا قول الزور)) . (البخاري ، ٢٠٠٣ ص٢٧)

وقال الرسول محمد (ﷺ) : ((من الكبائر شتم الرجل والديه)) قالوا : يارسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : ((نعم ، يسب ابا الرجل ، فيسب اباه ، ويسب امه ، فيسب امه)) . (مسلم ،٢٠٠٥ ص٥٣)

وأشار الى ان دعوتهما مستجابة عند الله تعالى اذ قال (ﷺ) : ((ثلاث دعوات مستجابات لهن لاشك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالدين على ولدهما)) . (البخاري ، ٢٠٠٣ ص٣٢)

التغيرات المصاحبة لمرحلة الشيخوخة وموقف الاسلام منها :-

تتسم مرحلة الشيخوخة بعدة خصائص وتغيرات تميزها من غيرها من المراحل وهذه التغيرات تحدث نتيجة عدة عوامل بيولوجية وسيكولوجية واجتماعية ونفسية يمر بها الفرد ولقد اصبح الان اتفاق شبه عام على ان بدء الشيخوخة هو سن الستين ، وهذا هو ما اصطلح عليه الدارسون للشيخوخة كظاهرة صحية واجتماعية ، وكثير من الحكومات عدت سن ٦٠ او ٦٥ بداية للشيخوخة وانطلاقا من ذلك سنت تشريعات وقوانين يجبر بموجبها كل من بلغ هذه السن ان يعتزل العمل ، ولكن بداية الشيخوخة يختلف باختلاف الاشخاص والبيئات وعوامل اخرى . (قناوي ، ١٩٨٧ ص٤)

مع كل ذلك يصاحب مرحلة الكبر لدى الانسان ضعف عام ، فقد قال سبحانه وتعالى : **((ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ)) . (١١)**

فالانسان يمر بثلاث مراحل رئيسة فيبدأ وليدا ضعيفا ، ثم شابا قويا ، واخيرا شيخا ضعيفا والضعف الاخير نسبي بين البشر فالشيخوخة هي نهاية مطاف الانسان في مرحلة نموه وتطوره على الارض ، اذ قال تعالى :

((وَمَن نّعَمّرْهُ نُنَكّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلاَ يَعْقِلُونَ)) . (١٢)

وفي ادناه ستعرض الباحثة ابرز التغيرات المصاحبة لمرحلة الشيخوخة وموقف الفكر العربي الاسلامي منها :

١- التغيرات الجسمية :

تظهر بعض التغيرات التي يمكن ملاحظتها على الانسان في حالة تقدمه في السن ومنها تجعد الجلد وجفافه مع ضعف في الحواس بشكل عام ، وبطء الحركة وترهل بعض العضلات ، وتغير لون الشعر وهناك تغيرات جسمية غير مرئية كضعف العظام وانخفاض حرارة الجسم وارتفاع نسبة الاصابة ببعض الامراض كارتفاع ضغط الدم والسكر والقبض المزمن والضعف الجنسي . (ستيفن وشرودر ، ١٤١٣هـ ص٦)

ومن التغيرات البيولوجية والفسيولوجية تغير معدل الآيض بتغلب عوامل الهدم على عوامل البناء في الجسم وتغير معدل نشاط الغدد الصماء وتغير قوة دفع الدم وتغيرات في الجهاز الهضمي . (خليفة ،ب.ت ص٢٢-٢٤)

ومن مظاهر التعبير عن الجوانب البيولوجية والفسيولوجية لمرحلة الشيخوخة ما جاء ذكره في القرآن الكريم عن الضعف الجسمي بشكل عام وبياض الشعر بشكل خاص اذ قال تعالى :

((قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّاً)) (١٣).

وعن العقم وفقدان القدرة الجنسية قال تعالى :

((قَالَتْ يٰوَيْلَتَا ءَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخاً إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ)) .(١٤)

والاسلام قد راعى في احكامه الضعف الذي يعيشه كبار السن ، ورتب على ذلك احكاما خاصة بهم تتصف باليسروالتخفيف ومراعاة لحالتهم البدنية وحط عنهم الاثم في ترك مالايقدرون عليه تأييدا لقوله تعالى :

((لاَ يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ)) .(١٥)

وقوله : **((يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ)) .(١٦)**

وقوله (ﷺ) : ((يسروا ولاتعسروا ، وبشروا ولاتنفروا)) ، وقوله : ((ايها الناس ، انكم منفرون ، فمن صلى بالناس فليخفف ، فان فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة)) . (الزبيدي ، ٢٠٠٧ ص٣٧ ، ٤٠)

و رخص للمريض وللمسن ان يصلي بالكيفية التي يستطيعها اذ قال (ﷺ) : ((صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب)) . (سورة ، ٢٠٠٥ ص١٣٢)

وعن عائشة رضي الله عنها ، انها لم تر رسول الله (ﷺ) يصلي صلاة الليل قاعدا قط حتى أسَن ، فكان يقرأ قاعدا ، حتى اذا أراد أن يركع قام ، فقرأ نحوا من ثلاثين آية أو أربعين آية ، ثم ركع . (الزبيدي ، ٢٠٠٧ ص١٤٠)

وقد اباح الله سبحانه وتعالى الافطار في شهر رمضان بالنسبة للمسن والمريض الذي لايقوى على الصوم او انه يقدر على الصوم ولكن بضرر ومشقة واطعام عن كل يوم مسكينا بقوله تعالى : **((وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) .** (١٧)

وشرع الانابة عن المسن في الحج لعجزه عن ذلك ، فحين سئل الرسول (ﷺ) من امراة عن من ادركته فريضة الله في الحج وهو شيخ كبير لايستطيع ان يستوي على ظهر البعير قال : ((حجي عنه)) . (سورة ، ٢٠٠٥ ص٢٨٥)

وفي التراث العربي الاسلامي نجد ان هناك نصوصا واقوالا لكثير من الحكماء والشعراء والفقهاء في وصف الاحوال الصحية المنهارة لكبار السن ، فقد انشد الشاعر (ابو العتاهية) متحسرا على الشباب :

عريت من الشباب وكنت غصنا كما يعرى من الورق القضيب
فياليت الشباب يعود يوما فاخبره بما فعل المشيب.

(الهواري ، ٢٠٠٤ ص٤٤)

ويقول (الشريف المرتضى) : " ان الشيب قد يمدح ويذم ، فيمدح بان فيه الجلالة والوقار والتجارب والحنكة ، ويذم بانه رائد الموت ونذيره وانه يوهن القوة وان النساء يصدن عنه ويعبن به ". (الشريف المرتضى ،١٣٠٣ هـ ص٨٦)

٢ – التغيرات العقلية :

ومن المظاهر المميزة لمرحلة الشيخوخة حدوث تغيرات في القدرات العقلية فيتصف تفكير المسن عادة بالصلابة وسرعة النسيان وضعف القدرة على التكيف مع

الأفكار الجديدة او محاولة تطوير عاداته القديمة وضعف الذاكرة ..... وتتضح عظمة القران الكريم ودقة تصويره للحالة التي قد يعيشها الانسان في هذه المرحلة عندما وصفها الله عز وجل بانها عودة الى ارذل العمر فقد ورد مايشير بوضوح الى توقف القدرة على التعلم وسوء الحفظ وذلك في قوله تعالى : **((وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ))** . **(١٨)**

وأرذل العمر كما ذكر المفسرون هو : أخسه وآخره الذي تضعف فيه القوى وتفسد فيه الحواس ويختل فيه النطق والفكر ويحصل فيه قلة العلم وسوء الحفظ وخصه الله تعالى بالرذيلة لأنه حالة لارجاء بعدها لاصلاح مافسد . (ابن كثير ، ب.ت ص٥٧٧)

الا ان من المفسرين من ذكر ان بعض المؤمنين يستثنون من حالة الرد الى ارذل العمر فقد قال (القرطبي) : ان هذا لايكون للمؤمن لأن المؤمن لاينزع عنه علمه . (القرطبي ، ب.ت ص١٤١)

وقد تضافرت الاحاديث الواردة عن الرسول ﴿ﷺ﴾ ان المؤمن لايزاد في عمره الا يكون خيرا له ، فضلا عن ان المسن المؤمن له مكانة خاصة تتمثل في تجاوز سيئاته وشفاعته لأهل بيته اذ قال ﴿ﷺ﴾ : ((لايتمنى احدكم الموت ، ولايدع به من قبل ان يأتيه ، انه اذا مات احدكم انقطع عمله وانه لايزيد المؤمن عمره الا خيرا)) . (مسلم ، ٢٠٠٥ ص١١٢٢)

وقوله : ((أعذر الله الى امرىء أخر أجله حتى بلغه ستين سنة)) . (الزبيدي ، ٢٠٠٧ ص٤٦٨)

ولايوجد حد يقف فيه الانسان عن التعلم ، فهو في عملية تعلمية مستمرة فقد قال تعالى :

((وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً)) .(١٩)

وامرنا نبينا العظيم محمد ﴿ﷺ﴾ بطلب العلم من المهد الى اللحد وجعله فريضة وواجبا من واجبات المسلمين ، ونص عليه حديثه الشريف : ((طلب العلم فريضة على كل مسلم)) . (الهيثمي ،١٤٠٧ج١ص١٢٠)

وقوله : ((الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها)) . (سورة ، ٢٠٠٥ ص٤٠)

وكلما كبر الانسان ازداد وعيه للذة المعرفة وشعوره بها ، لذلك كان بعضهم يرى ان اواخر الحياة اجدى وانفع لطلب العلم ، لما يتمتع به العالم من النضج والاستيعاب ، ولم يحدد الدين الاسلامي عمرا يتوقف فيه الفرد عن طلب العلم ، فعن (ابي هريرة) رضي الله عنه ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : ((من تعلم العلم وهو شاب كان كوشم في حجر ومن تعلم العلم بعدما يدخل في السن كان كالكاتب على ظهر الماء)) ، كما قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : ((ايما ناش نشأ في العلم والعبادة حتى يكبر وهو على ذلك كتب الله له اجر ٩٢ صديقا)) . (الهيثمي ،١٤٠٧ج١ ص١٢٥) وقوله : ((من طلب العلم كان كفارة لما مضى)) . (سورة ، ٢٠٠٥ ص٣٩)

وقد كان اصحاب النبي محمد (ﷺ) يتعلمون شيوخا وكهالا واحداثا وكانوا يتعلمون العلم والقرآن الكريم والسنن ولهم بحر العلم واطوار الحكمة والفقه. (محمد ، ٢٠٠٤ص١٩٩٩)

وطالما الانسان يعيش في هذه الحياة فهو لاينقطع امله اذ قال (ﷺ) : ((لايزال قلب الكبير شابا من اثنتين : في حب الدنيا وطول الامل)) . (الزبيدي ، ٢٠٠٧ ص٤٦٨)

ومن علمائنا الذين قالوا بضرورة استمرار الفرد بطلب العلم من غيران يؤخذ العمر بنظر الاهتمام ، (الماوردي) بقوله : " وربما امتنع الانسان من طلب العلم لكبر سنه ، واستحياءه من تقصيره في صغره ، وان يتعلم في كبره فرضي بالجهل ان يكون موسوما به ، وآثره على العلم ، أن يصير مبتدئا به ، وهذا من خدع الجهل ، وغرور الكسل لأن العلم اذا كان فضيلة ، فرغبة ذوي الاسنان (الاعمار المتقدمة) فيه أولى في أن يكون شيخا جاهلا " ، ويؤمن (الماوردي) بان عدم تعلم الكبير يعود الى عوامل نفسية لا الى عوامل ضعف القدرات العقلية لأنه يؤمن بان العقل ينمو عن طريق الخبرات ، والكبير تزداد قدراته بتقدم العمر وبذلك يقول : " وأما العقل المكتسب ... فليس لهذا حد ، لأنه ينمو ان استعمل ، وينقص ان اهمل " وينصح بان يتقبل الكبير تعلمه دون ان يخضع لحساسية العمر كأن يخجل من ممارسة الأوليات التي يمارسها في العادة الصغار ، ويقول : " فيستحي ان يبتدي بما يبتدي الصغير ، ويستنكف ان يساويه الحدث الغرير الجاهل المغرور " . (الماوردي ، ١٩٥٥ ص٦-٤١)

وهذا الامر الذي شخصه (الماوردي) قبل أكثر من ألف عام يؤكده المربون المعاصرون في دراساتهم الحديثة ،

اما (ابن باجه) فقد تحدث عن ابرز السمات العقلية للمسن واقترح برنامجا تربويا لمرحلة الشيخوخة بقوله :

((مرحلة الشيخوخة ، وفيه يتسم الشخص بجودة الرأي وجودة المشورة والحكمة والعقل ، ومرحلة سن الهرم ، وينبغي فيها ان يتسم الانسان بالحكمة ، لذا يجب ان يضع البرنامج مواد تعليمية تحقق تشكيلا لشخصية الانسان الحكيم)) .(ابن باجه ،١٩٦٨ ص٧٤)

لذا فان كل كبير يحتاج لأن يتعلم اشياء جديدة ، وان اية طريقة يتبعها الكبار لاشباع حاجاتهم للتعلم ، فان نجاح جهودهم في ذلك السبيل سوف تتأثر بقدرتهم على التعلم ، وبدافعهم وبحالتهم الانفعالية والفسيولوجية ، وتشكل العوامل النفسية عنصرا اساسا في عملية تعليم الكبار ، كما هو الشأن في تعلمهم .

وان التطور المتواصل للحياة الاجتماعية يفرض على الناس ان يتعلموا بشكل متواصل ، وهكذا ظهر مفهوم التربية المستمرة واخذ تعابير عدة مثل التربية الدائمة والتربية مدى الحياة والتعليم غير النظامي الرسمي وكل هذه الالفاظ تؤكد على ضرورة استمرار تعليم الفرد طيلة حياته. (محمد ، ٢٠٠٤ص٥٠-٥١)

غير ان الاهتمام بتعليم الكبار بدأ متاخرا مقارنة بما تم في مجال التعليم النظامي ورواده من الذين لايقعون ضمن مايعدهم المجتمع كبارا تجاوزوا سن الدراسة

النظامية ، وان التأكيد الذي يكرسه علماء النفس ومعظم جهودهم ينصب على دراسة الطفولة والمراهقة اذ قد اهمل الكبار والاهتمام بتعليمهم بسبب التأكيد على العلوم الاجتماعية التي تدور كلها عن الشباب ناسين ان كل الشباب سيصبحون شيوخا وان للشيوخ ادوارا حضارية يجب الاعتراف بها كما ان لهم دورا كبيرا كاباء يدفعون التكاليف من اجل تربية صغارهم ، كما انهم ليسوا معزولين عن مجتمعاتهم وبحكم كون التصور للمجتمعات الصناعية يركز على مراكز القوى التي تميل الى الزيادة في صالح الكبار. (الياس ،١٩٩٩ ص٣٢)

كما ان من ابرز الاسباب التي فرضت ضرورة الاهتمام بتعليم الكبار ذلك التفجر المعرفي والذي يتطلب ضرورة مواجهة التغيير الذي احدثه ويحدثه وكذلك انتشار وتوسع وتنوع الثورة التكنولوجية والتفجر السكاني وازدياد الحاجة لتوفير فرص التعلم والعمل على اوسع نطاق مما استوجب توفير بدائل واساليب مختلفة لتحقيق ذلك.

٣ – التغيرات الاجتماعية :

ان ابرز ما تتصف به هذه التغيرات لدى المسنين تقلص علاقاتهم الاجتماعية ، مما ينتج عن هذا التغير الفراغ في حياته نتيجة للانسحاب المتبادل بين المسن والمجتمع الذي يؤدي بدوره الى ضعف الاتصال بالمجتمع .
(العمران ، ١٩٩٢ ص٧١)

وهناك الكثير من مظاهر التغير في المجال الاجتماعي للفرد بتزايد وتقدم العمر وبعض هذه التغيرات تأتي نتيجة لعجز الفرد عن مجاراة ماتتطلبه الحياة من تغير في نمط علاقاته الاجتماعية او بسبب التبدل في التكوين العائلي مع تقدم العمر من تفرق بعض افراد العائلة بسبب الوفاة او الرحيل او الزواج او بسبب تغير ظروف العمل والتقاعد .. وكل هذه تحدث تغيرا في الصلات الانسانية واسلوب الحياة وتصور الفرد لمكانته الاجتماعية وتقديره لنفسه وجدوى حياته في العائلة والمجتمع وتتميز حياته الاجتماعية بفراغ فاذا ضاقت جميع هذه المجالات فانها تدفع بالفرد الى وضع من العزلة ، اذ انه مع التقاعد يفقد المسن الكثير من ادواره الاجتماعية ويفقد عمله كما يصاحب التقاعد فقد الصداقات والمكانة ويظهر ذلك في عزلته الاجتماعية . (كمال ،١٩٨٩ص٢٢٣)

وهناك عدد من التغيرات الاجتماعية المصاحبة لمرحلة الشيخوخة ومن مظاهر هذه التغيرات فقدان عدد من الانشطة والاهتمامات والاعتماد على الاخرين ، والخضوع لنفوذ الراشدين ويواجه المسن عددا من المشكلات التي تعوق توافقه النفسي والاجتماعي ومنها العزلة ووقت الفراغ وعدم قدرته على التكيف الفكري مع ظروف البيئة وانخفاض الدخل الشهري وتدهور الحالة الصحية وضعف الحواس والذاكرة والاصابة ببعض الامراض الجسمية والنفسية وكثرة الخلافات الاسرية وغير ذلك .

والاسلام ولاشك دين انساني يحترم الانسان كما هو واضح في قوله تعالى :
((**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**)) . (٢٠)

فالانسان مخلوق محترم ومكرم لقيمته الانسانية الذاتية وقد حرص الاسلام على تنظيم العلاقات الاسرية والاجتماعية على اساس من العدل والمساواة والتعاون والاخاء والمحبة والسكينة والعطف والتكافل واذا كان الاسلام قد حرص على صون كرامة الانسان في كل مراحل نموه فقد عني عناية خاصة بتوقير الكبار واحترامهم والعطف عليهم والاحسان اليهم .

وان قضية كبار السن يختلف منظورها من مجتمع لآخر ، لأن مايصح تطبيقه في مجتمع لايصح في مجتمع آخر لاختلاف القيم والخصائص الاجتماعية والفردية في المجتمعات ، والاسلام عقيدة وفكرا ونظاما متمثلا في كتاب الله وسنة رسوله وماجاء في التراث الاسلامي قد أولى مرحلة الشيخوخة رعاية متميزة ومالتكافل الاجتماعي الا نظم تخفف من أعباء الشيخوخة ، فقد فرض الاسلام الزكاة اذ قال تعالى :

((وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ)) . (٢١)

كما دعا الى الانفاق ومساعدة الفقراء والضعفاء بقوله تعالى :

((وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ)) .(٢٢)

والاسلام حفظ للانسان كرامته فامر باكرامه عند شيبته وحث على القيام بشؤونه وهو النموذج الذي جسدته ابنتا شعيب عليه السلام اللتان قالتا : **((لاَ نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ)) . (٢٣)**

ومن النماذج الحية على توقيرواحترام كبار السن في الاسلام تقديمهم في امور كثيرة كاعطاء كبير السن افضلية في امامة المسلمين ، فعن ابي مسعود عقبة ابن عمرو البدري الانصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فان كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فان كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة ، فان كانوا في الهجرة سواء فأكبرهم سنا ، ولايقوم الرجل في سلطانه ولايجلس على تكرمته في بيته الا باذنه)) . (سورة ، ٢٠٠٥ ص٩٠)

واكد الاسلام على اعطاء الكبير حق الكلام قبل الصغير في المجالس فقد قال ﷺ : ((كبر)) .

(مسلم ، ٢٠٠٥ص٧١٣)

وفي القاء السلام قال ﷺ : ((يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير)) . (سورة ، ٢٠٠٥ ص٧٥٦)

وفي تقديم الشرب ان رسول الله ﷺ **كان** اذا سقي قال : ((ابدوا بالكبر أو قال الاكابر)) . (الألباني ، ب.ت ، ص٣٨١)

وفي السواك ايضا فعن ابن عمر رضي الله عنهما : ان النبي ﷺ قال : ((أراني أتسوك بسواك ، فجاءني رجلان ، احدهما أكبر من الآخر ، فناولت السواك الأصغر منهما ، فقيل لي : كبّر ، فدفعته الى الأكبر منهما)) . (الزبيدي ، ٢٠٠٧ ص٥٨)

كما جاء عن ابي موسى رضي الله عنه ان رسول الله قال : ((ان من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولاالجافي عنه واكرام ذي السلطان المقسط)) .(البخاري ، ٢٠٠٣ ص١١٠) وكان الخلفاء يكرمون الكبير

ويوقرونه فقد حدث ذات يوم أن صادف (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه رجلا طاعنا في السن يستجدي ، فسأله لماذا تستجدي؟ فقال له الشيخ انه قد دفع الجزية ولم يكن مايكسبه ليدفع الجزية ، فأرسل عمر المستجدي الى بيت المال ورتب له مرتبا وقال عمر قولته الشهيرة : " أخذنا منه في شبابه ولم نعرفه حقه في شيخوخته ". (الراوي ،١٩٩٩ص٨٢)

وحرص الرسول (ﷺ) على تحقيق التوافق والبر والرحمة بين افراد امته ليعلو ويرتفع شأنها ولقد دعا (ﷺ) الى ان نحسن معاملة المسنين وان نوقرهم فجاء في الحديث الشريف : ((من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا)) . (البخاري ،٢٠٠٣ص١٠٩)

وقوله : ((لايؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) . (الزبيدي ، ٢٠٠٧ ص٢٧)

و في اكرام الكبار والعجزة عن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) : ((ماأكرم شاب شيخا لسنه الاّ قيّض الله له من يكرمه عند سنه)).(سورة ، ٢٠٠٥ ص٥٨٠)

فكلما ظلت مكانة الكبير محفوظة ومقدرة كلما احتفظ بامكانية التعامل الايجابي والاتصال الاجتماعي ، وكلما استطاع المساهمة في النشاط والحياة العائلية و كلما اطال ذلك من شعوره بالكفاءة والمقدرة والحيوية ويدفع عنه الاحساس بالعجز والقصور.

ولاشك ان احترام كبار السن في المجتمع الافادة من خبرتهم وحكمتهم وتجاربهم في الحياة لذلك فقد اشار الشيخ (ابو حاتم السجستاني) ت ٢٣٥هـ في كتابه (المعمرون والوصايا) الذي جمع فيه اخبار المعمرين من العرب الى مجموعة من الحكم والوصايا التي اوصى بها بعض من عاشوا طويلا وعمروا وأولهم على سبيل المثال (القلمس) وهو امية بن عوف الذي عاش دهرا طويلا ، وهو من حكماء العرب وكان جده الحارث بن كندة الذي لما حضرته الوفاة قال : (... واستوصوا بذوي اسنانكم خيرا ، اجملوا مخاطبتهم ، وقدموهم امامكم ، وزينوا بهم مجالسكم ...) اما وصية قيس بن عاصم المنقري بنيه ، قال : (اوصيكم بتقوى الله عز وجل ، وسودوا أكبركم ، فان القوم اذا سودوا أكبرهم لم يفقدوا أباهم) كما جمع المهلب بنيه واوصاهم : (يابني ، سودوا أكابركم وأعزوا ذوي أسنانكم تعظموا بذلك ، وارحموا صغيركم ، وقربوه ، وألطفوه ...) .
(السجستاني ، ب.ت ص٣٥ -٤٥)

لذا فان أساس مشكلة المسنين مشكلة اجتماعية قبل ان تكون مشكلة نفسية او صحية وان العناية بالجوانب الاجتماعية ذات اثر بالغ و ايجابي على الحالة النفسية التي من شانها ان تحسن من الحالة الصحية وتقلل من اعباء الشيخوخة .

٤ – التغيرات النفسية :

يعد التقدم في السن عملية مستمرة تتطلب التكيف المستمر مع التغير ، وتوقع المزيد من التغير في الموقف الحالي ، وبذلك يشير التوافق مع التقدم في السن الى ردود فعل الفرد تجاه تداخل التغيرات البيولوجية والاجتماعية والنفسية التي تعد

جزءا من التقدم في السن ، كما يشير الى مدى الرضا عن الحياة والتخلص من القلق اواليأس ومن العوامل المؤثرة في التوافق الذاتي للمسنين ، الموقف السائد في الحياة والعلاقات الاجتماعية السائدة ومدى الاحساس بعقدة الشيخوخة ومدى تقبل الذات . (قناوي ، ١٩٨٧ ص٥٢)

ولا تنفصل التغيرات النفسية للشيخوخة عن التغيرات الاجتماعية بل هي على علاقة وثيقة وترتبط بها بشكل كبير ، فالتوافق على سبيل المثال يتضمن الجانبين النفسي والاجتماعي في آن واحد ، وابرز هذه التغيرات تغير مفهوم الفرد عن ذاته والشعور بالقلق والاكتئاب والملل وتوهم المرض وكثرة الشكوى والحساسية الزائدة والاعجاب بالماضي والعناد والشك .

ومن القواعد المتفق عليها ان الصحة النفسية انما تستمد اصولها من العلاقة الوثيقة التي تربط الفرد بالآخرين ، وان اي حالة يجرد فيها المسن من هذه العلاقة تكون سببا في اضطرابه النفسي وان الحاجة الى العطف والحب والطمأنينة من الحاجات الاساسية للمسن وان هذا الاحتياج ليزداد يوما بعد يوم كلما تقدم العمر. (احمد ،١٩٩٨ ص١١)

ومن خصائص الشيخوخة ايضا صعوبة ملاحقة التطور مع ضعف القدرة على التكيف مع هذه السرعة ، وزيادة التدهور في كثير من القدرات النفسية والجسمية والميل الى الانطواء والشعور بقرب النهاية والنرجسية وحب الذات والأنانية ، وكثيرا مايشعر المسنون بانهم غير مفيدين وغير مرغوب فيهم ، فحينما يواجهون بعض المواقف الضاغطة في منتصف العمر يسيطر عليهم القلق والاكتئاب ، ويبدأون بالتفكير والتأمل الذاتي بدرجة كبيرة ويؤدي الشعور بالنفع والأمان دورا بالغ الأهمية في حياة الشيخ مما يجعله لايفقد الرغبة في الحياة ، فللشيخوخة منافعها للمجتمع فسرد الاخطاء وما وقعوا فيه ذخيرة للشباب تحل كثيرا من مشاكلهم ، لذا فأي اهتمام بهؤلاء الشيوخ يعود عليهم وعلى المجتمع بالنفع ، وهناك كثيرون لايشعرون بصعوبة حياة الشيخوخة لتوافر شعور الأمان والنفع ، وآخرون يعانون نوعا من المتاعب النفسية والعقلية لفراغ حياتهم وقلة النفع .
(معوض ، ١٩٩٩ ص١٧١)

وقد أثبتت الدراسات النفسية ان من بين التغيرات التي تصاحب هذه المرحلة ما يتعلق بالحالة النفسية والانفعالية ، فالامراض العصابية والذهانية من اهم امراض الشيخوخة في المجتمع المعاصر الذي تؤدي فيه العزلة الاجتماعية والعجز والتقاعد دورا كبيرا ، ويذكر بعض الباحثين انه عندما يخفق المسنون في الابقاء على علاقاتهم وارتباطاتهم ببيئتهم الاجتماعية فان اسباب الاخفاق تكمن في البيئة وليس في كبر السن . (احمد ، ١٩٩٨ص٥٦)

ومن اهم الاعراض النفسية لدى المسن شعوره بعدم الاطمئنان والوسواس المرضي والركون الى افكار الموت والخشية منه وتناقص الثقة بالنفس وتقديرها ، وكل ذلك يزيد في عزلة المسن وانفعاله واكتئابه . (كمال ،١٩٨٨ ص٢٢١)
وقد أشار (اريكسون) الى ان المسن في هذه المرحلة يشعر بتقبل ذاته وتقبل الاخرين والظروف ولها جوانب قوية تتمثل في الحكمة لدى الفرد ، ومن ناحية اخرى فانه

يشعر باليأس نتيجة لتقدم العمر ولتدهور بعض الوظائف الجسمية . (منسي وآخرون ، ٢٠٠٠ ص١٩٣)

ان احالة الفرد على التقاعد بسبب بلوغ سن الستين لها تأثير سلبي على متغيري التوافق والرضا عن الحياة لدى المسنين ، حيث يشعر المسن بالحزن وضعف توافقه الشخصي والاجتماعي وذلك نظرا لعدم استمرار دوافع العمل لديه وانخفاض المستوى الاقتصادي للاسرة فضلا عن زيادة وقت الفراغ وشعوره بعدم اهتمام المجتمع به . (اسعد ، ١٩٧٧ص٤١)

ويذكر ابن باجة بأن لكل سن يمر بها الانسان افعالا خاصة بقوله : " متى كان ذو سن مالايفعل افعال القوى المنسوبة لتلك السن ، فانما هو في السن الاولى لم ينفصل عنها ، وبيّن ان كل حال في سنّ ما فهي توطئة لما بعدها وخادم لها ... ولذلك يستقبح على الشيخ التصابي لتباعد مابين السنيّن لذا يستحسن من الكهول البر والتودد... " . (ابن باجه ،١٩٦٨ ص ١٥٧)

لذا من الواجب الاهتمام بالصحة النفسية للشيخ المسن وتحقيق الامن النفسي والانفعالي له ، واشباع حاجاته النفسية وحل جميع مشكلاته النفسية ، واشعاره بالحب و بحاجة اهله اليه وتحقيق عزة النفس له وانه يجب ان يقضي حياته في نشاط وتفاؤل ، والحياة النفسية للفرد اذا توافر فيها الحافز والتحدي والرفض للعجز فانها تشع الحيوية في كيان الفرد وعكس ذلك تماما يحدث اذا كانت الحياة النفسية خالية من الحماس والحافز والامل والتحدي فان عجزها وفقرها من هذه النواحي يشعر صاحبها بفتور الهمة ويسارع في عجزه قبل اوانه ، ولقد تعوذ الرسول محمد (ﷺ) من مرحلة الهرم بقوله :

((اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال)) .

(البخاري ، ٢٠٠٣ ص٢١٩)

واخيرا فالشيخوخة مرحلة عمرية تحدث بها تغيرات مختلفة تكمن في الضعف العام ، ويحاول الغرب بشكل واضح التوصل الى علاج للشيخوخة والهرم الذي يصيب بعض الناس في كبرهم ، وهي محاولات مكتوب لها الفشل مسبقا بنص حديث رسول الله (ﷺ) الذي رواه اسامة بن شريل – رضي الله عنه – ان الاعراب قالت : يارسول الله ألا نتداوى ، قال : نعم ياعباد الله تداووا ، فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء الا داء واحدا وماهو ؟ قال : الهرم " . (البخاري ، ١٤٠٥هـ ص١١٠)

استنتاج

لقد شمل الاسلام بتعاليمه وآدابه وأخلاقياته كل فئات العمر لينظم حياة الناس ويحفظ وحدتهم ويرعى حقوق ، وهذا هو خلق الأئمة والصالحين ازاء الكبير ، انه الاحترام والاجلال والبر وتقديمه اذا كان مؤهلا واعانته شيخا كبيرا ، ويمكن أن نجمل أبرز الاستنتاجات التي انتهت إليها هذه الدراسة بان رعاية كبار السن في الاسلام تقوم على اسس عديدة منها :-

١- ان المجتمع الاسلامي مجتمع يسوده التراحم والتماسك والتواد .
٢- جزاء الاحسان في الدين الاسلامي هو الاحسان .
٣- ان كبير السن المؤمن له منزلة ومكانة متميزة في الاسلام وعند الله .
٤- التخفيف على المسن في كثير من الاحكام والتشريعات مراعاة للضعف الحاصل لديه في القوى كافة .
٥- فضل طلب العلم مدى الحياة واستمرار طلب ثواب التعلم .

ABSTRACT

The Islamic religion tries through its attitudes social and moral systems to spread mercy, respect and sympathy aspects among Islamic society, because these atmospheres enables us to all the negatives and pass all difficulties which prevent more cooperation among the society, that looks at Islamic and social principles, values that the old have, the only way which reduce oldness disease and aspects , which makes him feel that he is respectable in his society and he is at the first level .

The researcher aimed from this study at identifying the position of Islamic Arabic thought towards the old in all its, physical, mental, social and psychological aspects.
Concerning the methodology of the research, she adopts the analytic, historical and descriptive approach.
This research deals with the changes of the old from all its aspects through Quran and Islamic laws and trying to reduce and simplify a lot of things from them, the researcher based on Quran and the prophets sayings and also on the saying of the Moslem Arab thinkers
The most prominent results the researcher has arrived are:
Human being is a respectable person in all his age stages and also respecting the old in one of Islamic society characteristics.
Then the researcher recommended and urged on taking care of the old, and also she emphasized on their economic and financial safety and their physical safety.
She assured on teaching, them continuously to face life problems and enter work field to create a continuous feeling for them that they are wanted and needed by the society and they are at the first level, also to protect them from loneliness and depression.

هوامش البحث :

(١) : الاسراء ، الآية ٢٣
(٢) : الحج ، الآية ٥
(٣) : البقرة ، الآية ٨٣
(٤) : النساء ، الآية ٣٦
(٥) : لقمان ، الآية ١٥
(٦) : الاسراء ، الآية ٢٣
(٧) : الاسراء ، الآية٢٤
(٨) : لقمان ، الآية ١٤
(٩) : الاسراء ، الاية ٢٣
(١٠): العنكبوت ، الآية٨

(١١) : الروم ، الآية ٥٤
(١٢) : ياسين ، الآية٦٨
(١٣) : مريم ، الآية ٤
(١٤) : هود ، الآية ٧٢
(١٥) : البقرة ، الآية ٢٨٦
(١٦) : البقرة ، الآية ١٨٥
(١٧) : البقرة ، الآية ١٨٤
(١٨) : النحل ، الآية ٧٠
(١٩) : طه ، الآية ١١٤
(٢٠) : الاسراء ، الآية ٧٠
(٢١) : المعارج ، الآية ٢٤
(٢٢) : سبأ ، الآية ٣٩
(٢٣) : القصص ، الآية٢٣

المصادر

- القرآن الكريم
١- ابن باجه ، ابو بكر بن الصائغ (ت٥٣٣هـ). (١٩٦٨) . **رسائل ابن باجه الالهية** ، تحقيق وتقديم ماجد فخري ، بيروت : دار النهار للنشر.
٢- ابن العربي المالكي . (ب.ت) .**عارضة الاحوذي لشرح صحيح الترمذي** ، بيروت : دار الكتاب العربي .
٣- ابن كثير . (ب.ت) ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج٢ ، مكة المكرمة : دار الباز .
٤- ابن منظور . (٢٠٠٣). **لسان العرب** . م٥ القاهرة : دار الحديث .
٥- احمد ، سهير كامل . (١٩٩٨). **دراسات في سيكولوجية المسنين** ، ج٥ ، مركز الاسكندرية للكتاب.
٦- احمد بن حنبل . (١٤١٣هـ) .**المسند** ، تحقيق محمد سليم سمارة وزملاءه ، بيروت : المكتب الاسلامي .
٧- اسعد ، يوسف ميخائيل . (١٩٧٧) .**رعاية الشيخوخة** ، القاهرة : مكتبة غريب .
٨- **الاعلان العالمي لحقوق الانسان**
http:// www. Unhcher.ch/ unhr/lang/eng.htm
٩- آغا ، كمال الدين عبد المعطي . (١٩٨٤) . **مشكلات التقدم في السن** ، الكويت : دار القلم .
١٠- الالباني . (ب.ت) . **سلسلة الاحاديث الصحيحة** ، ج٤ .
١١- الياس ، طه الحاج . (١٩٩٩) . **التعليم غير النظامي تعليم الكبار** ، عمان : دارمجدلاوي للنشر والتوزيع .

١٢- البخاري ، محمد بن اسماعيل . (١٤٠١هـ) . **صحيح البخاري** ، تحقيق مصطفى البغا ، ج١ بيروت : دار القلم .
١٣-البخاري ، محمد بن اسماعيل ت٥٢٦هـ . (٢٠٠٣) . **الادب المفرد الجامع للآداب النبوية** ، ضبط خالد عبد الرحمن العك ط٣ بيروت : دار المعرفة .
١٤- بيسكوف ، ليدفوردج . (١٩٨٤). **علم نفس الكبار** ، ترجمة عايف حبيب ودحام الكيال ومراجعة عبد الرحمن القيسي ، الكويت : مؤسسة الخليج للطباعة والنشر .
١٥- حافظ ، ناهدة عبد الكريم . (٢٠٠٢) . الرعاية الاجتماعية للمسنين ، **مجلة اليرموك** ، السنة (١) العدد (٣) .
١٦- خليفة ، عبد اللطيف محمد . (ب.ت) . **دراسات في سيكولوجية المسنين** ، القاهرة : دار غريب .
١٧- خليفة ، ابراهيم محمد احمد . (١٩٨٤). **تعريف وتجديد مجال المفاهيم العامة في مجال الشيخوخة** ، الكويت : دار القلم .
١٨- دليل المدن الصديقة للمسنين
http ://www.who.int/media centre/ news/releases
١٩- الراوي ، مسارع حسن. (١٩٩٩). **سيكولوجية الشيخوخة وموقف الاسلام من كبار السن** ، بغداد : دار الكتب.
٢٠- الزبيدي ، زين الدين احمد بن احمد بن عبد اللطيف ت ٨٩٣هـ . (٢٠٠٧) . **مختصر صحيح البخاري (التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح)** ، بيروت : دار المعرفة .
٢١– الزبيدي ، كامل علوان . (٢٠٠٥)، **علم نفس الكبار** ، بغداد.
٢٢ - ستيفن وشرودو . (١٤١٣هـ) . **طب الشيخوخة والمريض المسن** ، ترجمة ماجد العطار ، سوريا : دار القلم العربي .
٢٣– السجستاني ، ابو حاتم سهل بن عثمان . (ب.ت) . **المعمرون والوصايا** .
٢٤- سلطان ، محمود السيد .(١٩٧٧). **مفاهيم تربوية في الاسلام** ، الكويت : مؤسسة الوحدة .
٢٥ - سورة ، ابي عيسى محمد بن عيسى . (٢٠٠٥) . **سنن الترمذي (الجامع الصحيح)** ، تحقيق وتخريج احمد زهوة واحمد عناية ، بيروت : دار الكتاب العربي .
٢٦- الشريف المرتضى . (١٣٠٣هـ). **الشهاب في المشيب والشباب** ، قسنطينة : مطبعة الجواب.
٢٧- شعبان ، مظفر صلاح الدين وسمير صلاح الدين . (١٩٨٤). المسنون بين العلم والحضارة . **مجلة الفيصل**. العدد (٦٨) السنة (٦) ، الرياض..
٢٨- العاني ، عايف حبيب واخرون . (١٩٩٤) . **تعليم الكبار** ، ط٢ ، مكتبة الصياد للطباعة..
٢٩- العمران ، هالة . (١٩٩٢) . **التوافق عند المسنين** ، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، البحرين .

٣٠- القرطبي . (ب.ت) . **الجامع لأحكام القرآن** . ج١ ، القاهرة : دار الكتاب العربي .
٣١- قناوي ، هدى محمد .(١٩٨٧) . **سيكولوجية المسنين** ، القاهرة : مركز التنمية البشرية والمعلومات .
٣٢ - كمال ، علي ٠(١٩٨٨). **النفس انفعالاتها وامراضها وعلاجها** ، ط٤ .
٣٣ -الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب . (١٩٥٥). **ادب الدنيا والدين** ، تحقيق مصطفى السقا ،ط٣ ، القاهرة : مطبعة البابي الحلبي واولاده.
٣٤- مجمع اللغة العربية . (١٩٩٠). **المعجم الوجيز** ، القاهرة : مطابع وزارة التربية والتعليم .
٣٥ - محمد ، محمد جاسم . (٢٠٠٤) . **تفريد التعليم والتعليم المستمر** ، عمان : دار الثقافة .
٣٦ - مسلم بن الحجاج ابو الحسن (ت٢٦١هـ) .(٢٠٠٥) . **صحيح مسلم** ، تخريج محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة : دار الافاق العربية .
٣٧ – معوض ، عباس محمود . (١٩٩٩) . **المدخل الى علم نفس النمو** ، الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية
٣٨ - منسي ، محمود عبد الحليم واخرون . (٢٠٠٠) . **علم نفس النمو** ، مركز الاسكندرية للكتاب .
٣٩- الهواري ، صلاح الدين .(٢٠٠٤) . **ديوان ابي العتاهية** ، بيروت : دار ومكتبة الهلال .
٤٠- الهيثمي ، علي بن ابي بكر (ت٨٠٧هـ). (١٤٠٧هـ). **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، بيروت : دار الكتاب العربي .
٤١- وزارة العدل . **قانون الرعاية الاجتماعية (١٩٢٩) لسنة١٩٨٠** ، اصلاح النظام القانوني (٩) ، بغداد : مطبعة وزارة العدل.
٤٢- **اليوم الدولي للمسنين**

http://www.un.org/arabic/events/olderpersons/2006/background.asp